

تبادل

المعرض السنوي العام لفناني دولة الامارات العربية المتحدة الرابع والعشرون

في خضم التبادل بين الفكر والفن تتبدى ملامح التواصل الذي تبرزه و تضيفه العلاقة التبادلية بين الفكر والواقع لانتاج الخطاب الفني الذي تتماثل فيه سمات التعديلات والاضافات، فمع اتساع وتطور الحركة التشكيلية زادت حركة التبادل الفني بين دولة الامارات والدول الاخرى ومن هنا تأتي أهمية المعرض العام السنوي لفناني دولة الامارات.

فالتبادل والتأثر هو فعل ابداعي متكامل يعطي انماطا حديثة متنوعة ومتميزة ،تسلك طرقا اتصالاتها على طول الخطوط الجغرافية فليس لها علاقة مهمة بالحدود الجغرافية، فما رافق الخارطة الكونية من تغييرات مجتمعية، فلسفية، سياسية، اقتصادية، مفاهيم ومعلوماتية جديدة كان لها أكبر الاثر على مجريات العمل الفني التشكيلي العربي والعالمي المعاصر.

فإذا القينا النظر على مجتمعاتنا نستطيع أن نرى جوانب التأثير والتأثر في كافة الفنون فقد نالت الفنون التشكيلية نصيبها من هذا التبادل فتوسعت الصيغ الفنية وأفرزت مناهجا وأساليب وصف بعضها بالحديث وبعضها قراءة جديدة لمنهج أو أسلوب.

فمفهوم التبادل هو التغيير لا الثبات وان الحدائه في حالة ثورة مستمرة على نفسها كي تحارب الثبوتية، بل إن الغاية من التبادل بين مختلف الثقافات يكمن أولا في فهم الهوية والمنحنى السياسي والمضمون الاقتصادي والاجتماعي للنتاجات الثقافية بشكل عام، وفي مجال الفن التشكيلي نجد التبادل ظاهرا بخلاف غيره من الفنون لذلك نجد أن الباحثون في الفن إهتموا بمحاولة تجريب ادواتهم دون التقيد بتطبيقات تقليدية للمعارف الأكاديمية .

في المعرض السنوي العام لفناني دولة الامارات العربية المتحدة الرابع والعشرون ، ما لدينا ليس مجرد تجارب فردية ابداعية تدور في فلك التغيير ، إنما هو التحول في الفكر والفن التشكيلي بخصوصيته وجمالية أفكاره وقيمه الاجتماعية ، تجارب تحاكي وتبادل من سبقها من تجارب ابداعية وثقافية.

فالتبادل الفني الثقافي الذي اقحم بمعايير اقتصادية، اجتماعية و ثقافية ادى الى خلق هذه المعايير الجديدة ، إن تبادل المجتمعات الانسانية المعارف والرؤى والثقافات أصبح حلم كل مثقف وفنان مفكر، فالغرض من الفن احتواء العلاقة المعقدة بين ثقافات الكرة الارضية المختلفة، لتحقيق قفزه في التطور الثقافي والحصول على قوة دافعة للتطور الذاتي ، فمصطلح التبادل لا يعني التقليد ولا يعني انسلاخ الفنان او ابتعاده عن رموز بيئته، فقد تأثر الفن تائرا كبيرا بالمتغيرات العظيمة التي طرأت على الدولة، ولم تتجسد هذه التغييرات في المباني الشاهقة وطرق المرور السريع الواسعة بل في التطورات السريعة في مجال الفن، وقد استغل الفنان عناصر بيئته لإيصال مضمون فكره وما يود ان يطرحه .

وتتعددت مجالات التبادل في الفنون والعلوم الاخرى فهناك علم نفس الفن وعلم اجتماع الفن وانثروبولوجيا الفن ، تاريخ الفن كذلك النقد يضاف اليها مستقيدا منها و مؤثرا فيها، وغيرها من العلوم المعاصرة كالرياضيات والفيزياء، فصار التبادل بين الفن التشكيلي مع غيرها من الفنون كالمسرح، السينما والموسيقى واضحا من خلال اعمال قدمت بعضها ممزوجة بين الاداء المسرحي أو (performance) و التشكيل.

ففي مجال الفن البصري ارتبط تبادل الفنان بما حوله من امور سياسية، اخلاقية وثقافية فانتهج اعمال لها علاقة بهذه الامور مناقشا مسائل واقعية من خلال انتاج اعمال تفصح عن مدى تأثره في مختلف جوانب

حياته، الى جانب رصد جوانب القضايا الانسانية ، فهو لم يغفل ارتباطه كجزء من العالم الواسع ليؤثر ويتأثر بكل ما يدور حوله ، ويتجه بفنه وفكره الى خارج نطاق التسجيل للحدث والمشهد اليومي الملاصق به ، فالارتباط الفكري بالثقافات العالمية بشكل عام بسطت سبلها شبكات الاتصال السمعية والبصرية العصرية ودفعت به الى الاتجاه لإيجاد سبل تعبيرية مميزة ، من ايصال فلسفته الفكرية وصياغاته التعبيرية الى افراد مجتمعه او المجتمعات الاخرى، فالتبادل بين ثقافة جماعة ما واخرى، لا يتوقف على الاختلاف عند مجال الجماعات الاجتماعية المتميزة بل انه يظهر في صلب تكوين المجتمع الواحد حيث تظهر الفوارق بين الفئات والطبقات الاجتماعية وحالات التباين الجنسي والعمرى وتظهر حالة الوقوف على خصوصية الوعي الذي يعكسه المجال الاجتماعي.

ايضا الاتصالات الالكترونية عبر الانترنت ووسائل التقنية الحديثة جعلت التخاطب والتبادل امرا سهلا مباشرا وزادت ايضا احتمالات التلاقح والتأثر بثقافات فنية ومبانيه متعددة حتى وان كانت احيانا مختلفة، متناقضة أو غريبة ، أضف الى ذلك استخدام عناصر التكنولوجيا ووسائل التقنية الحديثة والاكتشافات العلمية في الأعمال الفنية الحديثة والاحتكاك التبادلي بين الفنان والمصانع في انتاج وإخراج أعماله، مما أعطى دافعا جديدا للفنون وزاد من تقارب الصيغ الفنية الحديثة.

ختاما ، قد نسأل ما السبب في حالة القلق والتداخل المربك الذي ينصب على رأس المتلقي الذي يجد نفسه أحيانا في حيرة من التغيير؟.... إن الاجابة على هذه الحيرة مسئولية جماعية تتحملها الحكومات والمؤسسات المعنية الاكاديمية والتربوية والمنابر الاعلامية المقروءة والمرئية والمسموعة والفنانين والنقاد على وجه التحديد في إعادة فهم وتبسيط التناقضات والاختلافات بين ثقافات الأمم ليقودنا هذا التجديد والتغيير في تحركنا نحو التحولات المتميزة المختلفة في الفن.